ماذا يعني مفهوم الايديولوجية..؟

بقلم: خوشابا سولاقا

ان الانسان عندما يفكر بشكل مجرد في اي شيء في حياته الفردية كانسان او في حياته الاجتماعية كفرد في المجتمع البشري، او عندما يتأمل اي شيء او ظاهرة في محيطه الانساني على مستوى الفرد اومحيطه الاجتماعي على مستوى المجتمع الذي يعيش فيه ضمن علاقات اجتماعية او انسانية معينة، او في محيطه المادي الطبيعي، فانه في مسعاه هذا يسعى ويبغي تكوين نسق فكري عام يفسر من خلاله وجود الاشياء والظواهر والقوى المحركة لها والقوانين التي تتحكم بطبيعة هذه الاشياء والظواهر سواء كانت اجتماعية او انسانية او طبيعية في محيطه الاجتماعي او في محيطه الطبيعي. هذه العملية الفكرية المجردة الخالصة تشكل اللبنة الاولى في بناء مفهوم الايديولوجية بمعناها الواسع والشامل. ولالقاء المزيد من الضوء لتوضيح مفهوم الايديولوجية لابد من تقديم تعريف وتوضيح لكلمة الايديولوجية، فهي كلمة غير عربية، مشتقة من كلمة "ideal" ومعناها بالعربية "المثال" وجمعها "المُثل" ونسبتها "المثالية".

والايديولوجية هي ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ويطبق عليها بصفة دائمة. وهذه العملية يقوم بها من يسمى نفسه باسم "المفكر" بوعي ولكنه يصبح في النهاية وعيا زائفا. ان "المفكر" يستخدم خلال هذه العملية منهجا للبحث والتحليل والتركيب قد يكون منهجا غير علمي فيساهم في زيف الناتج، وقد يكون منهجا علميا فيكون الناتج حقيقيا بصفة معينة وغير حقيقي بصفة مطلقة. والمنهج العلمي يمكن ان يظل مجددا او مثمرا وخصبا فترة تاريخية طويلة، اذا ظل قابلا للتطور مع تطور ادوات ومقاييس الاستقصاء والبحث العلمي، بل ويمكن ان يكون وبتوفر هذا الشرط منهجا دائما.

ولكن تنسيق النتائج في نظام ثابت مجرد ومطلق سرعان ما يجعل من هذا النظام، اي من هذه الايديولوجية عقيدة جامدة متباعدة عن مجرى التطور، ومكونة لترسبات نفسية واجتماعية تحول دون رؤية الجديد الدائم المتطور في الحياة الواقعية. ومن هنا فأن الايديولوجية بمعنى النظام الفكري المجرد المطلق، يمكن ان تتحول وهي تتحول بالفعل الى عقبة رجعية في سبيل التقدم الثوري للانسان والمجتمع والحياة. ان المفكر في اثناء قيامه بالعملية الفكرية المجردة، اي بالعملية الايديولوجية، قد يجهل قوى متحركة ومحركة للطبيعة والمجتمع والفرد، ومن ثم فانه يسد مثل هذا النقص بل يتخيل او يفترض قوى متحركة ومحركة مظهرية او زائفة. ولان العملية الايديولوجية عملية فكرية، فان المفكر يستمد مضمونها ومحتواها من التفكير المجرد، سواءَ اكان هذا التفكير تفكيره هو، ام كان تفكير من سبقوه من المفكرين. ومن هنا تصبح الايديولوجية عملية سلفية تعالج افكارا مجردة لا تتفق مع الواقع المتغير، او ي موروثة من زمان غير الزمان، وعن مكان تاريخي غير المكان وصادره عن قياس قديم لقدرات تم تعديلها وتجاوزها.

ان المفكر صانع الايديولوجية يعمل بمادة فكرية بحتة، وهي مادة قد يقبلها بدون فحص او نقد على اعتبار انها انتاج فكري، متجاهلا بذلك ان كل فكرة هي نتاج للتطور الواقعي في الحياة والتطبيق، او يجب ان تكون كذلك. او هو قد لا يحققها الى ابعد مصدر لها مستقل عن الفكر.

ومن ثم يبدو له الامر كله عاديا، لانه مادام كل عمل يقتضي في رأيه تأملا فكريا فان كل امر يبدو له في النهاية قائما على اساس الفكر.

والايديولوجي التاريخي "والمقصود بوصف تاريخي هنا كل ما يتعلق بالمجتمع وليس بالطبيعة فقط، اي كل المجالات السياسية والتشريعية والفلسفية والفقهية.. الخ" يصوغ في كل مجال مادة فكرية كانها كونت نفسها مستقلة خارج واقع الاجيال السابقة ثم مضت في مجرى تطورها المستقل، خارج واقع الاجيال الحالية. ومن هنا فان جميع الثوريين ليست لهم ايديولوجية، انهم بالا نسق فكري مجرد. وانما لهم دائما منهج متطور ومعين ومحدد.

والمقصود هنا بالثوريين كل من يسعى ويعمل ويناضل ويحقق تغيرات في الطبيعة والمجتمع والفرد وفي العلاقات المتبادلة بينها، تسير بالحياة قدما الى الامام نحو تحقيق المزيد المطرد من الكفاية والسعادة للناس. ولكن على الرغم من هذا التحديد الفكري لمعنى الايديولوجية وخطرها، فان هناك ايديولوجيات اي نظما فكرية منسقة، يمكن لها ان تلعب في الواقع وفي فترة تاريخية معينة ويتوفر ظروف موضوعية معينة دورا ثوريا، ويدعم وجودها النضال من اجل كفاية الانسان وسعادته ورفع مستوى حياته الانسانية، ولكن حتى مثل هذه الايديولوجيات محكوم عليها في النهاية بان تصفى وتنتهي لتحل محلها ايديولوجية جديدة، تبدأ في شكل شك فتساؤل فنقد فدحص الايديولوجية السابقة، ثم تتسق في نظام فكري جديد اكثر عصرية واكثر استجابة لمتطلبات وشروط الحياة الجديدة، مستند الى اساس منهج علمي دائم التطور مع تطور قوى الانتاج ووسائل المعرفة التكنيكية والعلمية، وتزايد ونمو وتطور قدرة الانسان باستمرار على ان يوسع معرفته ويعمقها لاكتشاف قوانين الحياة الاجتماعية والطبيعية وبالتالي تطويعها وتسخيرها لمصلحته وتطوير حياته بكل اشكالها المادية والروحية وجعلها اكثر يسرا وعطاء. وهذا هو معنى ومستقبل الايديولوجية.

مِحنة المُجتمَع العِراقي

د. سيّار الجَميل*

يمّر المجتمع العراقي اليوم بمحنة قاسية كبرى، خصوصا وان المتغيرات الصعبة والحروب والكوارث والاضطهادات التي مّر بها سابقا، والتي يعرفها الجميع، قد انتجت اوضاعا متردية على مستوى كل الوحدات الاجتماعية والتنوعات السكانية في المدن ولواحقها.. وزاد من حدّة المأساة على عهد الاحتلال اليوم، تفاقم الانقسامات ليس السياسية فقط، بل الاجتماعية بشكل يصعب تخيله اثر تطبيق سياسات بثّت روح الانقسام على اسس دينية وطائفية وعرقية وديمغرافية وجهوية اقليمية ومحلية..

لقد انتجت كل السياسات التي مورست جملة هائلة من الصراعات التي لم يحسب حسابها ابدا من قبل العراقيين جميعا.

وتلك "السياسات" التي صنعتها المبادئ الانقسامية وسوّقها المحتلون في العراق اعلاميا وسياسيا باسم المكونات الاساسية الثلاثة "شيعة وسنّة واكراد"، ومن اكبر الجنايات التي ارتكبها مؤسسو العراق الجديد انهم شرعنوا ذلك دستوريا، من دون اي ادراك او وعي من قبل العراقيين بما حدث وبسرعة خارقة..

وتحت واجهة "الديمقراطية"! اغلبنا يؤمن بالديمقراطية والتشريعات الدستورية، ولكن على اسس مدنية حديثة تنبثق من مشروع مدني وطني يوّحد العراقيين ولا يفرقّهم، ويشدّ أزرهم ولا يضعفهم.. وان يتعاملوا معه سياسيا بعيدا عن أية اجندة مغايرة، خصوصا وان المجتمع العراقي قد خرج من زمن كان يمتلئ بالفراغات السياسية، وبالمشكلات الاقتصادية، وتجتاحه الانسحاقات النفسية، ومؤثراتها الخطيرة جمعاء.

لقد ساهمت العملية السياسية في العراق بشرنمة الوحدات الاجتماعية قاطبة، وخلقت حالات سيئة جدا يصعب معالجتها، ومنها ما دمّر البنية الاجتماعية تدميرا كاسحا في ظل فقدان كامل للامن، وانتشار للارهاب، والصراع الطائفي، والهجرة الجماعية، وبعثرة الاقليات، وانقسامات المجتمع، وكراهية الحياة، وانتفاء الخدمات، وانسحاق المرأة، وتشرد الاطفال.. وهنا اتحدث عن محنة المجتمع العراقي من دون التطرق لمأساة الدولة وفساد هياكلها كلها. صحيح ان التركة صعبة، ولكن حجم الانهيار كان مريعا جدا.

لقد ساهمت كل الاحزاب العراقية الحالية في تسويق بضاعة الاكثريات والاقليات، كما ان الاقليات نفسها محتارة اليوم نتيجة الظروف القاسية لمن تعطي ولاءها، فانقسمت هي الاخرى ، مما جعلها ضعيفة جدا امام سطوة الشراسة في الشارع والتي لا تعرف مصادرها اولا، وامام هيمنة الاكثريات من المكونات الكبرى في المؤسسات ثانيا..

وكان من المنتظر ان يكون مجلس النواب سلطة تشريعية اساسية لخدمة المجتمع العراقي وضروراته، لكنه غدا ساحة للصراعات الفردية والحزبية والطائفية والعرقية بين مختلف القوى واثارة مشكلات لا يمكن ابدا ان تخلق ضمن عملية بناء وطني.. وهو حصاد واضح لما جرى عمله في الانتخابات السابقة.

صحيح ان العراقيين هم في ظل هيمنة المحتل، ولكن كان عليهم الاستفادة من تجارب وطنية اخرى في العالم مّرت بنفس المخاض، اذ ان التوّحد ضرورة تاريخية بدلا عن اي انقسام يفسخ نسيج المجتمع، ومن دون اي إعلاميات فجة، او تصريحات غبية، أو اتباع سياسات تثير صراعات اجتماعية داخلية.. ومن دون اية قوى منفصلة عن ارادة الدولة وسلطة القضاء وهي تعتمد مليشياتها ومرتزقتها.. كلها عوامل خلقت فوضى عارمة يذكيها كل من بيده مقاليد القوة والمال..

ان الديمقراطية تمنح الحريات، ولكنها تحاسب على الحقوق والواجبات..

انها لا تعمل في مجتمع تأكله التمزقات والكراهية والاحقاد والقتول..

انها لا تعمل للاكثريات لتسحق الاقليات، انها لا تمنح الحق للمتسلطين في تهميش الاخرين..

انها لا تعدم تكافؤ الفرص لجميع المواطنين.

لقد دفع المجتمع العراقي اثمانا باهضة من حياته وتعايشه واستقراره وأمنه وموارده.. وسيبقى يدفع اثمانا اخرى ان لم يجد له طريقا جديدا نحو المستقبل، يعالج فيه كل الخطايا والجنايات. ان بقيت الحالة هكذا ، فان مجتمعات اخرى مجاورة مرشحة للمرور بمحنة العراق المأساوية التي اصبحت ثقيلة على الصدور ، وليس بالاستطاعة فعل اي شيء حيالها! ان اغلب مجتمعاتنا العربية، تمر بمشكلات خطيرة، ولكن ليس بحالات التعاسة التي يعاني منها العراقيون، خصوصا ونحن نعلم، بأن الاخطاء تولد اخطاء اكبر، فتتفاقم مستويات منحطة من الممارسات.. ومنها ما يحكى عن انحرافات خطيرة لدى العراقيين نسوة ورجالا..

فمن ينقذ العراقيين من محنتهم اللامتخيلة أبدا؟ ومن ينقذ مدنا كاملة مما تتعرض له من مخاطر؟ ومن يخلص مجتمعنا العراقي من الاوزار التي حلت به؟ من يحمي الاطياف القديمة من الفناء؟ من باستطاعته اخراج كل القتلة والدخلاء والغرباء ورجال مخابرات دول وجماعات ومرتزقة اجانب وارهابيين عتاة من ارض العراق؟. انني اعتقد ان العلاج الحقيقي يكمن اصلا بتأسيس مجتمع مدني، وقانون مدني، وحياة مدنية واساليب مدنية.

ان الديمقراطية لا يمكنها ان تعيش في بيئة تضادات، او في غابة من التناقضات... مع تأسيس نظام أمني غير مسيّس، وان يبتعد المحتل عن كل المدن اولا، وان يباشر باصلاح الدستور لتأسيس مواطنة حقيقية صرفة..

تحترم فيها كل الاقليات، وكل المشاعر، وكل العقائد، وكل الطقوس، وكل التقاليد.. ان المجتمع لا يمكنه معرفة طريقه نحو المستقبل الا بوسائل قانونية وامنية، ليغدو التعبير سياسيا من خلال مشروع وطني مدني وحضاري. نتمنى ان يتحقق ذلك سريعا باذن الله.

* موقع الاستاذ سيار الجميل.

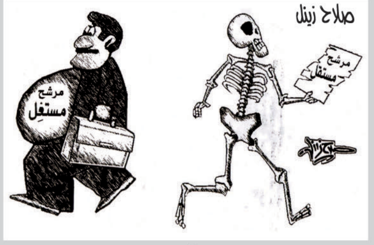

داخل امرأة ـ الوهم*

حسين سليمان

جاءتني فكرة تتوسل خفة الوعي وهبوطه اللاواعي. هل هناك بالفعل هذه التقسيمات الإدارية، وعي ولا وعي؟! إنسان ولا إنسان؟ حسنا. مثل جميع الناس أو أغلبهم حين أنام تأتيني الصور مستقلة تسامح العقل الذي يريد أن ينام. ولا يضبطها. فتجري مثل نهر غزير يأخذني من مكان إلى آخر.

ليلة البارحة ...لا أدري كيف ابدأ.. لقد نسيت..

هي جميلة.. ماذا أعني بكلمة "هي جميلة"؟! هل هي امرأة؟ ليست هناك امرأة على وجه الأرض، امرأة واحدة بل الذي هناك هي بنت. بنت جميلة، تخرج من بيتها.

المشكلة هي أن الأفكار والصور حين تقود العقل فإن الناتج مبهر، أما حين تكون الصور مقادة ومرتبة من قبل العقل فالناتج عقيم. ليتنا نكتب ونحن في أسرة النوم قبل أن ننام، نجد طريقة لتدوين هذه الأمواج. امواج لا تترك الجسد حتى يذبل ويخور في نومه.

حين قدمت من سفري الطويل لم أدق بابها بل وقفت اسفل نافذتها أروي رائحة اللوز:

"لا مناص، فرائحة اللوز المر كانت تذكره بمصير الغراميات غير المواتية"*

فجن جنونها، قامت. سمعت صرير الكرسي وزعيق الطاولة وسمعتها تصرخ بفرح ودموع.

لقد عرفت صوتي، فهو داخلها كل الوقت يحاور صوتها وينسل معه في ريّاها.

وأرادت أن تخرج من النافذة لمعانقتي، فأشرت لها، النافذة ليست بابا!

قلبها كان ساخنا، أمواجه تلتطم وتولد.. صعود... تيارات ملموسة.

وقت التلاقي، لحظته، يتغير العالم، ويتبدل، فهو ليس العالم ، بل هو أنا وهي.

أطرافها..

لم تكن هناك أطراف ولا جسد..

ولاشيء

بل تخيل ومجاز..

فكيف أجيب العناق بعناق وأنا بعيد مسافات الدنيا كلها.

الدنيا حسبتْ مسافاتها وقاستها حتى وصلت إلى أبعد مكان فوضعتني فيه.

تقول الدنيا: هكذا تكون الحرارة أكبر، تكون حمى.

إنما الحمى هي وقت النوم.. حين السرير.. ولا ضابط لستائر موج البحر.

حمى الآن، ومجاز وتخيل وكانت حين خرجت من الباب تركض كي تلقاني أصابتها الدائة، الهزّة. راحت تجول بعينها وتستفسر الحاضر متسائلة: أين هو، لقد رأيته بعينيّ هاتين؟

لم أقل لها، كنت وهما!

فعادت، تجر خطاها تقول: الخيال يجرني إلى الجنون.

فتتبعت خطاها.

أمام بيتها، هناك رصيف ممتد.. جلس بالقرب منه الشباب ينتظرونها أن تخرج.. بعد أيام .. لا.. تخرج.. بعد أيام.. راحوا يحملون كراسيهم ويضعونها عند الرصيف أمام بيتها وينتظرونها أن تخرج. الصورة غير المعقولة كانت هذه:

لاحظ أصحاب السينما التجمهر عند بيتها، أصحاب سينما الفردوس "سينما براديسو" ففتحوا كشك تذاكر وجلبوا مقاعد درجة أولى عند الرصيف، كي تخرج، وراح الشباب يدخلون في السينما يقرشون البزر ويأكلون البوظة، يتجول البائعون بين صفوف سينما براديسو يبيعون السندويتش والشيكولاتة.

شي كثير أن نفتح صالة فرجة أمام بيتها. لكن شباب هذه الأيام من يقدر عليهم؟! تجمد الدم...لا أدري أي دم..أين تجمد.. لكنني لم أقدر على الحركة، لم أتابع.. وقفت في مكاني أراقب مايحدث.

لم يحدث شيء. ما الجديد الذي سيحدث في منطقة الشرق على أية حال! بالطبع لم يحدث الشيء الواحد غير المعروف فالأيام... هي أيام... مكررة.. ولا جديد..

وقفت. كي تخرج. فخرجت. فتتبعت خطاها. هناك الشباب الذين راحوا يصفون جمال الخالق، والخصر والعينين، وهي تتمايل، ويخرج عن خطى المشي فوق خطواتها خطى فيها رهبة جمال: فيهب الجمهور قائلا: اللهم صل على النبي".

أي نبي!... كل الأنبياء "اللهم صل على كل الأنبياء" فهذا جمال مبهر.. ماذا أفعل.. يا ربّا..

لا تفعل شيئا، بس دحقْ. فدحقتُ.

الشيطان ليس داخلَ المرأة، إنما هو داخل الرجل وقد وهبه للمرأة. ليس هبة بل أستنبته فيها.

فترنحت مثل أرجوحة، يداها في اتجاه وخصرها في اتجاه آخر، قل أنها ترقص حين تمشي والناس الحاضرون في السينما راحوا يتهافتون.. ثم.. الله أكبر. أول فيلم أحضره وعمري ٣ سنوات في سينما دمشق، كان عن الحرب الثانية، انكليزي، أذكر منه محارب في سيارة جيب يقع من السيارة فيصفر، يضع اصابع يديه في فمه، للسائق، كي يقف. راحوا يصفرون. أوه، تمشي...

وقع المقاتل من سيارة الجيب وتوقفت على بعد منتي متر. فصرخت ونزلت تقول لماذا لم تعلمني أنك ستأتي وضمتني، ولا تهرب وتمسي خيالا وقد هامت بالروايات الرومانسية أعجبتها لغة الجسد وفوضى الحواس.وأقول لها: لا ذائقة أدبية لك، أنت قديمة الذائقة. ليس هناك شيء اسمه سبق السيف العذل. ولا يفوت الأوان أبدا.

الفرق بين الكاتب والقارئ -بين الكاتب متوسط الموهبة الذي أظنه أنا- مرة سمعت إحداهن تقول لي أنت "مديكور"، فذهبت أفتش عن معنى مديكور، صحيح أنني أقيم في أميركا منذ زمن، لكنني لم أسمع بكلمة مديكور في حياتي، لأن أهلها لا يشغلون أنفسهم بالتقييم: هذا ممتاز وهذا وسط. حين تسمع أحدهم يقول عنك أنك مديكور فهذا يعني أن القائل هو سوبرمان.

الفرق بين الكاتب والقارئ هو كالتالي: الكاتب لا يكتب بين السطور أشياءه، فتضيع لذتها على القارئ، والكاتب لا يريد للقارئ أي لذة، فيضيع معه أيضا ويصبح مديكور. بين السطور السابقة صفحات لم تكتب. بعدما ذهبنا ما الذي حدث وماذا حدث قبلها؟ ثم وقع المقاتل من السيارة وصفر لها كي تقف. لو أنه لم يصفر لما قتل على بعد أميال في لغم هشم الحديد والنار وصارت إلى رماد.

خرجت تمشي وانتظرتها أن تعود. بقيت أنتظر. أما المتفرجون في صالة السينما فضربهم الملل يريدون أن يعودوا إلى أشغالهم: لم ترجع ونحن ننتظر كل الوقت! فتركوا مقاعدهم، وبعضهم حطمها من الغضب. بقيت أنتظر. فرأيتها بعد سنتين قادمة. تمشي ولا أحد على الرصيف... وحدها..خالية.. خيالها يمد ظلال المدينة الغارقة. لا قمر ولا نسمات ولا جمال. هل ستراني؟ ستصل؟! ثم أخيرا كي أنهي الحياة– المقالة – النص – النفس الذي رياها يذهب ويجيء فيه، هل بالفعل أنتظرت سنتين؟

وكما هو الحال في القفلات الرومانسية، أقول:

الوهم ينتظر كل سنين الدنيا– لا يأبه بالإنتظار.

*موقع كيكا

مقاربة الى مفهوم الهوية الوطنية

كامل داود

في خضم هذه الحزمة من المفاهيم المعاصرة التي طفحت على سطح الخطاب السياسي النخبوي، أصبح من الصعوبة بمكان، أن نجد تعريفا محدداً لمفهوم الهوية ، ولعل مرد هذا الاستعصاء على الوضوح هو نجاح مفهوم الهوية في الانتشار السريع وذيوعه اللافت سواء على السنة السياسيين أو أقلام المشتغلين في الاجتماع السياسي، حَيث إن اتساع دائرة التداول للمفاهيم لا يزيدها الا غموضا والتباسا وهذا يكاد أن ينطبق على معظم فروع المعرفة. ومما زاد الأمر تعقيدا تداخل مفهوم الهوية بقوة مع مفاهيم أخرى مثل المواطنة أو الولاء حتى أوشكت أن تتبادل مواقعها عند الكثير من الذين يتداولون ها المفهوم.

فلو أريد التنقيب عن هذا المصطلح في مظانه لوجد انه لا يعدو أن يكون مصطلحا غربيا كالعادة، وانه قد ظهر في السّتينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة تحديدا وقد انحصر استخدامه في طرح مشكلة الاقليات، اما المصطلح العربي فيشير الى مدلول اقرب الى الفلسفة منه الى علم الاجتماع ففي كتابه "التعريفات" يُعَرِّف الجرجاني الهُوِيّة بأنها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق إشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" فمن المؤكد ان تشم رائحة الفلسفة في هذا التعريف فيما نرى ان الهوية "تلفظ عند الاقدمين مضمومة" وعليه يمكن الجزم ان اشتقاقها من الضمير "هو"، في حين ان المصطلح الحديث ينتمي الى علم الاجتماع ويكاد اشتقاقه اللغوي يقترب من "الهوى" او الانتماء الذي ممكن ان يتحول الى ادراك متعمق للوجود يجعل العلاقة مع الآخرين متكاملة.

فيما تحدد المواطنة كنه الرابطة بين الدولة والفرد وهي دالة قانونية تبنى على منظومة الحقوق المدنية والسياسية، الأساسي منها والمكتسب، فضلا عن الواجبات التي تحددها القوانين الأساسية للدولة وان مفهوم المواطنة ينبثق من الوطن كرابط جغرافي أما الهوية فتكون اقرب إلى التاريخ، والهوية ممكن أن تتسامى وتتحول إلى مواطنة وحينئذٍ تكون الأساس لبناء الدولة الحديثة.

فالمواطنة تتعدى كل الهويات الفرعية الأخرى وهي هوية كبرى وانتماء موضوعي للدولة الحاضنة للجماعات المتشاركة في جغرافية الوطن. ان الهوية ممكن ان تكون دافعا للرفاه تمنح حامليها دفء الانتماء للجماعة وتمدهم بالتضامن والاستقرار، ولكن عندما تضيق محدداتها وتختزل القواسم المشتركة، تتحول الى مصدر للترويع والعنف حينها يكون التفرد مدخلا لتعاطي فن الكراهية وامحاء الاخرين.

ويبدو الاهتمام بالهوية الوطنية العراقية قد فرض نفسه كناتج عرضي لسقوط الدكتاتورية وهروع الهويات الفرعية بقفزة واسعة الى الوراء بما يناهز قرن من تاريخ العراق المعاصر والعكوف لمراجعة العقد الاجتماعي الذي تشكلت به الدولة العراقية عام ١٩٢١ وبعثرة حبات هذا العقد ومن ثم التزاحم على لظمها بخيط من غزل آخر يقوى على تحمل الشد بأيدي متعاطي السياسة في الموزائيك العراقي.

فلم يلد ذلك سوى الاختلال في مسار الهوية الوطنية وتمظهره بالاكتفاء على الولاءات الصغيرة والحاضنات الفرعية والجنوح بدفة الانتماء صوب الصراع على عملية توزيع المواقع السياسية والاجتماعية والاحتكام إلى المحاصصة على وفق تلك الولاءات الأمر الذي يكرس عوامل التقسيم والاحتماء بالعصبيات النكوصية.

لا ريب إن الدولة المدنية الحديثة بمختلف مؤسساتها الوطنية تمتلك القدرة على تفكيك منظومة الولاءات الجزئية والارتقاء بها إلى أفق أوسع من غير أن تلغيها بالقسر والإكراه وترمي مواطنيها في أتون الضياع والاغتراب، والحالة هذه يسهل استهدافهم من قبل "دوقات" الطوائف وتجييشهم في تحقيق أهداف ذاتية غالبا ما تكون مصدرا لتهديد السلم الأهلي وتقويض بناء دولة المواطنة والحيلولة دون قيامها بأهم واجب من واجباتها وهو إدارة الفعاليات الاقتصادية والاستفادة من الموارد والطاقات وإيجاد الفائض الاقتصادي المطلوب في تذليل المشكلة الاقتصادية وإعادة بناء العلاقات الإنتاجية المؤدية للعدالة الاجتماعية من خلال تحقيق أقصى ناتج إجمالي.

فلابد للدولة أن تضع نصب أعينها كل ما يبعث التوازن والاستقرار في المجتمع والذي بدوره يكون قاعدة لتطوير الإنتاج وخلق حالة من النمو والتكامل بين القطاعات الاقتصادية المختلفة مما ينعكس على زيادة الإنتاج الاجتماعي وانتعاش المواطنة السليمة لتكون الأساس المتين لصنع المنجز الحضاري وهنا تكون العلاقات الإنتاجية هي جوهر الحركة الاجتماعية المجسدة لهوية الجماعة الوطنية.

• موقع كتابات.